



تأثير الرقية على ضغط الدم

د. محمد أيمن عرقسوسي
استشاري ورئيس قسم الصحة النفسية،
مساعد المدير الطبي لشؤون العلاج النفسي
مستشفى الأمل - بجدة.

إن الإحصائيات العلمية تشير إلى أن من أكبر أسباب الوفيات في المجتمع الإصابة بارتفاع ضغط الدم الأساسي. وقد ظهرت في الأسواق كثير من الأدوية الكيميائية والتي تخفض مستوى ضغط الدم. والكل يعلم أن لهذه الأدوية غالباً آثار جانبية.

ولأن ارتفاع ضغط الدم الأساسي أحد الأمراض النفسجسمية التي تصيب الإنسان بأسباب نفسية، لذلك فقد توجه اهتمام العلماء نحو العلاج النفسي بأنواعه التي تخفض مستوى ضغط الدم دون أن تعرض الإنسان لمخاطر الأعراض الجانبية.

ولقد أجريت العديد من الدراسات على بيئات مختلفة في الهند، أوروبا، وأمريكا، وأظهرت النتائج فوائد للاسترخاء العضلي والنفسي، وللتدريب على التغذية الحيوية الراجعة، وللتأمل (التفكير) الارتقائي.

أما في العالم الإسلامي، فلقد حث الإسلام على التداعي بالقرآن، وبالدعاء والرقية الشرعية، وعلى ممارسة الاسترخاء، ولكن في مجال الأبحاث التجريبية في علاج ضغط الدم ظهرت لدينا ثغرة واضحة. وهذه الدراسة على البيئة السودانية الإسلامية هي من أولى اللبانات لسدها. فهي

دراسة تجريبية تهدف إلى معرفة تأثير الاسترخاء، وكذلك تأثير الاسترخاء المصحوب بالرقية الدينية الإسلامية على مرضى ارتفاع ضغط الدم الأساسي.

ففي هذه الدراسة تم اختيار هاتين الطريقتين على عينة عشوائية مكونة من ٧٥ مريضاً شخصهم أطباء الباطنية. وأجريت على ٦ منهم طريقة الاسترخاء العضلي وحده وعلموا طريقة الاسترخاء النفسي لممارسته في المنازل حيث أجري ٥٣ جلسة علاجية ومتابعة على هذه المجموعة.

أما المجموعة الثانية فتتكون من ٦٩ مريضاً أجري عليهم طريقة الاسترخاء العضلي، أتبعبت بإسماعهم بعض الأدعية والآيات المأثورة في شريط، ثم علموا طريقة الاسترخاء النفسي المصحوبة بالرقية الذاتية وأجري عليهم ٥٥١ جلسة علاجية ومتابعة.

وأكدت نتائج هذه الدراسة في مجال الاسترخاء نفس ما توصلت إليه الدراسات السابقة في البيئات الأخرى، من أن نسب التحسن تصل إلى ٦٠٪ من أفراد العينة.

وتوصلت هذه الدراسة إلى أنه إذا ما أضيفت الرقية الشرعية للاسترخاء فإن هذه النسبة ترتفع إلى ٨٧،١١٪ من أفراد العينة.

وأظهرت نتائج اختبار «ت» دلالة الفروق بين المتوسطات في المجموعات المرتبطة، أن الفرق بين مستوى الضغط لحظة الوصول وبين مستواه بعد إجراء الاسترخاء دال إحصائياً، ويسير في اتجاه متوسط الضغط في العاصمة القومية السودانية.

وكذلك أثبتت الدراسة وجود فروق دالة إحصائياً بين مستويات الضغط لحظة الوصول وبين مستويات الضغط بعد الاسترخاء والرقية معاً.

ووجود فروق دالة إحصائياً بين لحظة الوصول في الجلسة الأولى وبين لحظة الوصول في الجلسة الأخيرة.

وأظهرت نتائج المتابعة عدم وجود فروق دالة إحصائياً.

وخلصت هذه الدراسة إلى وجود تحسن وقتي، وتحسن طويل

المدى. وطالبت بأهمية استخدام هذه الطريقة، التي من شأنها تطوير علاج ارتفاع ضغط الدم الأساسي، والتخفيف من الأعباء الاقتصادية على المريض والدولة معاً. وهي علاوة على ذلك تجنب المريض التعرض للأعراض الجانبية، نتيجة تعاطي الأدوية الكيميائية المخصصة لعلاج ارتفاع ضغط الدم.

حقائق حول الجن مهمة

ومن يطالع هذه النصوص يعلم أن حياة الإنسان ليست إلا صراعاً بينه وبين الشيطان، الشيطان يريد أن يقضي عليه بأن يوبقه ويهلكه، والإنسان الذي أمدّه الله بنوره يجاهد كي يستقيم على صراط ربه، ويقيم غيره على هذا الصراط، وفي سبيل ذلك لا بدّ له من أن يصارع هذا العدو في حنايا نفسه، وخطرات قلبه، وآماله وأحلامه وتطلعاته، لا بدّ له أن يتفحص أهداف وغاياته القريبة والبعيدة باستمرار كي يتبين مدى قربيه وبعده من ربه، ومدى خلاصه من عدوه الذي يحاول أن يحتنكه ويقوده كما يقود الزارع حماره.

ما الجن؟

الجن عالم آخر غير عالم الإنسان وعالم الملائكة، بينهم وبين الإنسان قدر مشترك من حيث الاتصاف بصفة العقل والإدراك، ومن حيث القدرة على اختيار طريق الخير والشر، ويخالفون الإنسان في أمور أهمها أن أصل الجن مخالف لأصل الإنسان.

وسموا جنّاً لاجتنانهم أي استتارهم عن العيون، ﴿إِنَّهُمْ يَرُنْكُم هُوَ وَقِيلُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].

أصلهم:

أخبرنا الله جل وعلا أن الجن قد خلقوا من النار في قوله: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُورِ﴾ [الحجر: ٢٧]، وفي سورة الرحمن ﴿وَخَلَقَ

أَلْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ ﴿١٥﴾ [الرحمن: ١٥]، وقد قال ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، والحسن وغير واحد في قوله: ﴿مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ﴾ طرف اللهب، وفي رواية من خالصه وأحسنه: (البداية والنهاية ٥٩/١) وقال النووي في شرحه على مسلم: «المارج اللهب المختلط بسواد النار».

وفي الحديث الذي أخرجه مسلم عن عائشة، عن النبي ﷺ قال: «وخلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من نار، وخلق آدم مما وصف لكم».

متى خُلقوا؟

لا شك أن خلق الجن متقدم على خلق الإنسان لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السُّمُورِ ﴿٢٧﴾﴾ [الحجر: ٢٦، ٢٧] فقد نص في الآية أن الجان مخلوق قبل الإنسان، ويرى بعض السابقين أنهم خلقوا قبل الإنسان بألفي عام وهذا لا دليل عليه من كتاب ولا سنة.

أصناف الجن:

يقول الرسول ﷺ في هذا: «الجن ثلاثة أصناف: فنصف يطير في الهواء، ونصف حيات وكلاب، ونصف يحلون ويظعنون» رواه الطبراني، والحاكم، والبيهقي في الأسماء والصفات بإسناد صحيح «صحيح الجامع ٨٥/٣».

رؤية الحمار والكلب للجن:

إذا كان لا نرى فإن بعض الأحياء يرونهم كالحمار والكلب، ففي مسند أحمد، وسنن أبي داود بإسناد صحيح عن جابر مرفوعاً: «إذا سمعتم نباح الكلاب، ونهيق الحمار بالليل، فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنهن يرون ما لا ترون».

وهذا ليس غريباً فقد تحقق العلماء من قدرة بعض الأحياء على رؤية

ما لا نراه، فالنحل يرى الأشعة فوق البنفسجية، ولذلك فإنه يرى الشمس حال الغيم، والبومة ترى الفأر في ظلمة الليل البهيم.

الشيطان والجان:

الشيطان الذي حدثنا الله عنه كثيراً في القرآن من عالم الجن، كان يعبد الله في بداية أمره، وسكن السماء مع الملائكة، ودخل الجنة، ثم عصى ربه عندما أمره أن يسجد لآدم استكباراً وعلواً وحسداً، فطرده الله من رحمته.

والشيطان في لغة العرب يطلق على كل عاتٍ متمرّد، وقد أطلق على هذا المخلوق لعنوه وتمرده على ربه.

وأطلق عليه لفظ (الطاغوت) ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقِيلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقِيلُوا أَوْلِيَاءُ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦] وهذا الاسم معلوم عند غالبية أمم الأرض بنفس اللفظ كما يذكر العقاد في كتابه (إبليس) وإنما سمي طاغوتاً لتجاوزه حده، وتمرده على ربه، وتنصبيه نفسه إلهاً يعبد.

وقد ينس هذا المخلوق من رحمة الله، ولذا أسماه الله (بإبليس) والبّلس في لغة العرب من لا خير عنده، - وأبلس يشس وتحير.

أصل الشيطان:

سبق القول بأن الشيطان من الجن، وقد نازع في هذه المسألة بعض المتقدمين والمتأخرين، وحجتهم في ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، وأمثال هذه الآية التي يستثني فيها إبليس من الملائكة، والمستثنى لا يكون إلا من جنس المستثنى منه عادة.

وقد نقلت لنا كتب التفسير والتاريخ أقوال جملة من العلماء، يذكرون

أن إبليس كان من الملائكة، وأنه كان خازناً للجنة، أو للسماء الدنيا، وأنه كان من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلة... إلى آخر تلك الأقوال، قال ابن كثير في تفسيره (٣٩٧/٤): (وقد روي في هذه آثار كثيرة عن السلف، وغالبها من الإسرائيليات التي تنقل لينظر فيها، والله أعلم بحال كثير منها، ومنها ما يقطع بكذبه لمخالفته للحق الذي بأيدينا، وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة؛ لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان، وقد وضع فيها أشياء كثيرة، وليس لهم من الحفاظ المتقين الذين ينفون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، كما لهذه الأمة من الأئمة، والعلماء، والسادة، والأتقياء، والبررة، والنجباء من الجهابذة النقاد، والحفاظ الجياد الذين دونوا الحديث، وحرروا وبينوا صحيحه، من حسنه، من ضعيفه، من منكروه، وموضوعه، ومتركوه، ومكذوبه، وعرفوا الوضاعين، والكذابين، والمجهولين، وغير ذلك من أصناف الرجال، كل ذلك صيانه للجناب النبوي، والمقام المحمدي خاتم الرسل وسيد البشر ﷺ أن ينسب إليه كذب، أو يحدث عنه بما ليس فيه).

وما احتجوا به من أن الله استثنى إبليس من الملائكة... ليس دليلاً قاطعاً؛ لاحتمال أن يكون الاستثناء منقطعاً؛ بل هو كذلك حقاً للنص على أنه من الجن في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠].

وقد ثبت لدينا بالنص الصحيح أن الجن غير الملائكة والإنس، فقد أخبر المصطفى ﷺ: «أن الملائكة خلقوا من نور، وأن الجن خلقوا من نار، وأن آدم خلق من طين» والحديث في صحيح مسلم.

قال الحسن البصري: لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين (البداية والنهاية ٧٩/١)، والذي حققه ابن تيمية: (أن الشيطان كان من الملائكة باعتبار صورته، وليس منهم باعتبار أصله، ولا باعتبار مثاله) (مجموع الفتاوى ٣٤٦/٤).

هل الشيطان أصل الجن أم واحد منهم؟

يقول ابن تيمية يذهب إلى أن الشيطان أصل الجن كما أن آدم أصل الإنسان. (راجع مجموع الفتاوى ٢٣٥/٤، ٣٤٦).

طعام الجن وشرابهم:

الجن والشيطان منهم، يأكلون ويشربون، في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ أمره أن يأتيه بأحجار يستجمر بها، وقال له: «ولا تأتيني بعظم ولا بروثة» ولما سأل أبو هريرة الرسول ﷺ بعد ذلك عن سر نهيه عن العظم والروثة، قال: «هما من طعام الجن، وإنه أتاني وفد نصيبين - ونعم الجن - فسألوني الزاد، فدعوت الله لهم: أن لا يَمروا بعظم ولا روثة إلا وجدوا عليها طعاماً» وفي سنن الترمذي بإسناد صحيح: «لا تستنجوا بالروث، ولا بالعظام، فإنه زاد إخوانكم من الجن» (صحيح الجامع ١٥٤/٢) وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود «أتاني داعي الجن فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن، قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وأثار نيرانهم، وسألوه الزاد فقال: لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم لحماً، وكل بقرة علف لدوابكم، فقال النبي ﷺ: فلا تستنجوا بهما فإنهما زاد إخوانكم».

وقد أخبرنا الرسول ﷺ أن الشيطان يأكل بشماله، وأمرنا بمخالفته في ذلك، روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ أن النبي ﷺ قال: «إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله».

وفي مسند الإمام أحمد: «من أكل بشماله أكل معه الشيطان، ومن شرب بشماله شرب معه الشيطان».

وفي المسند أيضاً: «إذا دخل الرجل بيته فذكر اسم الله حين يدخل وحين يطعم، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء ههنا، وإن دخل ولم يذكر اسم الله عند دخوله، قال: أدركتم المبيت، وإن لم يذكر اسم الله عند

طعامه، قال: أدركتم المبيت والعشاء» وأخرجه مسلم أيضاً. ففي هذه النصوص دلالة قاطعة على أن الشياطين تأكل وتشرب.

وكما أن الإنس منيهون عن أكل ما لم يذكر اسم الله عليه من اللحوم، فكذلك الجن المؤمنون جعل لهم الرسول ﷺ طعاماً كل عظم ذكر اسم الله عليه، فلم يبح لهم متروك التسمية، ويبقى متروك التسمية لكفرة الجن: الشياطين، فإن الشيطان يستحل الطعام إذا لم يذكر عليه اسم الله، ولأجل ذلك ذهب بعض العلماء إلى أن الميتة طعام الشيطان؛ لأنه لم يذكر اسم الله عليها.

واستنتج ابن القيم من قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَقُّرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [المائدة: ٩٠] أن المسكر شراب الشيطان، فهو يشرب من الشراب الذي عمله أولياؤه بأمره، وشاركهم في عمله، فيشاركهم في شربه، وإثمه وعقوبته.

هل يتزواج الجن ويتكاثرون؟

الذي يظهر أن الجن يقع منهم النكاح، وقد استدل بعض العلماء على ذلك بقوله تعالى في أزواج أهل الجنة ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّا إِنْشَاقَبْتُهُمْ وَلَا جَانٌ﴾ [الرحمن: ٥٦].

زواج الإنس من الجن:

الإمام مالك رحمه الله «ولكني أكره إذا وجدت امرأة حامل فليل من زوجك؟ قالت: من الجن فيكثر الفساد».

وذهب قوم إلى المنع من ذلك، واستدلوا على مذهبهم بأن الله امتن على عباده من الإنس بأنه جعل لهم أزواجاً من جنسهم: ﴿وَمِنْ ءَابِلَيْهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

فلو وقع فلا يمكن أن يحدث التآلف والانسجام بين الزوجين لاختلاف الجنس، فتصبح الحكمة من الزواج لاغية، إذا لا يتحقق السكن والمودة المشار إليهما في الآية الكريمة.

هل تموت الشياطين؟

لا شك أن الجن ومنهم الشياطين يموتون، إذ هم داخلون في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧].

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يقول: «أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت، الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون».

أما مقدار أعمارهم فلا نعلمها إلا ما أخبرنا الله عن إبليس اللعين أنه سيبقى حياً إلى أن تقوم الساعة: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝﴾ [الأنعام: ١٥، ١٦].

ومما يدل على أنهم يموتون أن خالد بن الوليد قتل شيطانه العزى، (الشجرة التي كانت تعبدها العرب)، وأن صحابياً قتل الجنى الذي تمثل بأفعى، كما سيأتي بيانه.

مساكن الجن وأماكنهم وأوقات تواجدهم:

الجن يسكنون هذه الأرض التي نعيش فوقها، ويكثر تواجدهم في الخراب والفلوات، ومواقع النجاسات كالحمامات والحشوش والمزابيل والمقابر، ولذلك - كما يقول ابن تيمية - يأوي إلى كثير من هذه الأماكن التي هي مأوى الشياطين: الشيوخ الذين تقترب بهم الشياطين، وقد جاءت الأحاديث التي تنهي عن الصلاة في الحمام، لأجل ما فيها من نجاسة، ولأنها مأوى الشياطين، وفي المقبرة لأنها ذريعة إلى الشرك، مع أن المقابر قد تكون مأوى للشياطين.

ويكثر تواجدهم في الأماكن التي يستطيعون أن يفسدوا فيها كالأسواق،

فقد أوصى الرسول ﷺ أحد أصحابه قائلاً: «لا تكون إن استطعت أول من تدخل السوق، ولا آخر من يخرج منها، فإنها معركة الشيطان، وبها ينصب رأيه» رواه مسلم في صحيحه.

والشياطين تبيت في البيوت التي يسكنها الناس، وتطردها التسمية، وذكر الله، وقراءة القرآن، خاصة سورة البقرة، وآية الكرسي منها، وأخبر الرسول ﷺ أن الشياطين تنتشر، وتكثر بحلول الظلام، ولذا أمرنا أن نكف صبياننا في هذه الفترة وهو حديث متفق عليه.

والشياطين تهرب من الأذان ولا تطيق سماع صوته، وفي رمضان تصفد الشياطين.

من مجالس الشياطين:

تحب الشياطين الجلوس بين الظل والشمس، ولذا نهى الرسول ﷺ عن الجلوس بينهما، وهو حديث صحيح مروي في السنن وغيرها.

دواب الجن:

في حديث ابن مسعود في صحيح مسلم أن الجن سألوا الرسول ﷺ الزاد، فقال: «لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه، يقع في أيديكم لحماً، وكل بقرة علف لدوابكم».

فأخبر أن لهم دواب، وأن علف دوابهم بعر دواب الإنس.

حيوانات تصاحبها الشياطين:

من هذه الحيوانات الإبل، يقول الرسول ﷺ: «إن الإبل خلقت من الشياطين، وإن وراء كل بعير شيطاناً» رواه سعيد بن منصور في سننه بإسناد مرسل حسن (صحيح الجامع ٥٢/٢) ومن أجل ذلك نهى الرسول ﷺ عن الصلاة في مبارك الإبل، ففي مسند أحمد، وسنن أبي داود أن الرسول ﷺ

قال: «لا تصلوا في مبارك الإبل، فإنها من الشياطين، وصلوا في مرائب الغنم فإنها بركة».

وفي سنن ابن ماجه بإسناد صحيح: «ولا تصلوا في أعطان الإبل، فإنها خلقت من الشياطين».

وهذه الأحاديث ترد على من قال بأن علة النهي عن الصلاة في مبارك الإبل نجاسة أبوالها وروثها، فالصحيح أن روث وبول ما يؤكل لحمه غير نجس.

قبح صورة الشيطان:

الشيطان قبيح الصورة، وهذا مستقر في الأذهان، وقد شبه الله ثمار شجرة الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم برؤوس الشياطين، لما علم من قبح صورهم وأشكالهم، ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ [الصافات: ٦٤، ٦٥].

وقد كان النصارى في القرون الوسطى يصورون الشياطين على هيئة رجل أسود ذي لحية مدبية، وحواجب مرفوعة، وفم ينفتح لهباً، وقرون وأظلاف وذيل (دائرة المعارف الحديثة ٣٥٧).

الشيطان له قرنان:

ففي صحيح مسلم عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «لا تخروا بصلاتكم طلوع الشمس، ولا غروبها، فإنها تطلع بين قرني شيطان» وفي البخاري ومسلم عنه: «إذا طلع حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تغيب، ولا تحينوا بصلاتكم طلوع الشمس، ولا غروبها، فإنها تطلع بين قرني شيطان».

والمعنى أن طوائف من المشركين كانوا يعبدون الشمس ويسجدون لها عند طلوعها وعند غروبها، فعند ذلك ينتصب الشيطان في الجهة التي تكون فيها الشمس حتى تكون عبادتهم له.

وقد نهينا عن الصلاة في هذين الوقتين، والصحيح أن الصلاة في هذين الوقتين جائزة إذا كان لها سبب كتحية المسجد، ولا تجوز بلا سبب كالنفل المطلق؛ لقوله ﷺ: «لا تحينوا» أي: لا تتقصدوا ومما ورد فيه ذكر قرن الشيطان حديث البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ يشير إلى المشرق، فقال: «ها إن الفتنة هنا، إن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان» والمراد بقوله: «حيث يطلع قرن الشيطان» أي جهة الشرق.

قدراتهم:

أعطى الله الجن قدرة لم يعطها للبشر، وقد حدثنا الله عن بعض قدراتهم، فمن ذلك سرعة الحركة والانتقال.

فقد تعهد عفريت من الجن لنبي الله سليمان بإحضار عرش ملكة اليمن إلى بيت المقدس في مدة لا تتجاوز قيام الرجل من جلوسه، فقال الذي عنده علم من الكتاب: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِي رَبِّي ﴿[النمل: ٣٩، ٤٠].

سبقهم الإنسان في مجالات الفضاء:

ومنذ القدم كانوا يصعدون إلى أماكن متقدمة في السماء، فيسرقون أخبار السماء، ليعلموا بالحدث قبل أن يكون، فلما بعث الرسول ﷺ زيدت الحراسة في السماء: ﴿وَأَنَّا لَسْنَا أَلَمَّاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ فَمَن يَسْمَعُ أَلَّا يَحْدُ لَهُمْ إِنَّا لَنَرَاهُمْ فِي ضَعْفٍ مُّؤْتَصِفٍ ﴿[الجن: ٨، ٩].

وقد وضع الرسول ﷺ كيفية استراقهم السمع، فعن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كالسلسلة على صفوان، قال علي وقال غيره: ينفذهم ذلك، فإذا فزع

عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قال: الذي قاله الحق، وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترقو السمع، ومستمعو السمع هكذا، واحد فوق آخر، ووصف سفيان بيده، وفرج بين أصابع يده اليمنى نصبها بعضها فوق بعض، فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبها فيحرقه، وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه، إلى الذي هو أسفل منه، حتى يلقوها إلى الأرض، وربما قال سفيان: حتى تنتهي إلى الأرض فتلقى على فم الساحر فيكذب معها مائة كذبة، فيصدق، فيقولون: ألم يخبرنا يوم كذا وكذا بكذا وكذا، فوجدناه حقاً للتي سمعت من السماء» رواه البخاري في صحيحه.

خرافة جاهلية:

وهذا العلم عن السبب الذي من أجله يرمي بشهب السماء قضى على خرافة كان يتناقلها أهل الجاهلية، فعن عبدالله بن عباس قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار، أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ رمي بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله: «ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. كنا نقول: ولد الليلة رجل عظيم، ومات عظيم. فقال رسول الله ﷺ: «فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمراً سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال. قال فسيتخبر بعض أهل السموات بعضاً؛ حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا. فتخطب الجن السمع، فيقذفون إلى أوليائهم، ويرمون به فما جاءوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يعرفون فيه ويزيدون» رواه مسلم في صحيحه.

علمهم بالإعمار والتصنيع:

أخبرنا الله أنه سخر الجن لنبيه سليمان، فكانوا يقومون له بأعمال

كثيرة تحتاج إلى قدرات، وذكاء، ومهارات، ﴿وَلَسَلِمْنَكَ الرِّيحَ غُدُوهاً شَهْرٌ وَرَوْحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَكُمْ عَيْنَ الْقَطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِن عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَكُم مَّا يَشَاءُونَ مِنْ تَحْرِيْبٍ وَتَمَثَّلُوا بِحَفَافٍ كَالْجُؤَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبا: ١٢، ١٣].

قدرتهم على التشكل:

للجن قدرة على التشكل بأشكال الإنسان والحيوانات، فقد جاء الشيطان المشركين يوم بدر في صورة سراقه بن مالك، ووعد المشركين بالنصر، وفيه أنزل: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨].

ولكن عندما التقى الجيشان عابن الملائكة تنزل من السماء ولى هارباً: ﴿فَلَمَّا تَرَأَتْهُ أَفْئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ [الأنفال: ٤٨] وقد جرى مع أبي هريرة قصة طريفة رواها البخاري وغيره؛ قال أبو هريرة: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج، وعلي عيال، ولي حاجة شديدة، قال فخليت عنه، فأصبحت فقال النبي ﷺ: «يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة؟ قال: قلت: يا رسول الله شكاً حاجة شديدة وعيلاً، فرحمته، فخليت سبيله، قال: أما إنه كذبك وسيعود، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود، فرصدته، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني، فإنني محتاج، وعلي عيال، لا أعود، فرحمته، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك؟ قلت يا رسول الله شكاً حاجة شديدة وعيلاً فرحمته. فخليت سبيله. قال: أما إنه كذبك وسيعود، فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك على رسول الله، وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم لا تعود، ثم تعود! قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله

بها، قلت ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقراً آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ حتى تختتم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: ما فعل أسيرك البارحة؟ قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: ما هي؟ قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقراً آية الكرسي من أولها حتى تختتم: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص شيء على الخير، قال النبي: أما إنه صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليل يا أبا هريرة؟ قال: لا، قال: ذاك شيطان» فقد تشكل هذا الشيطان في صورة إنسان.

وقد يتشكل في صورة حيوان: جمل، أو حمار، أو بقرة، أو كلب، أو قط.

خاصة الكلاب السود؛ ولذا أخبر الرسول ﷺ أن مرور الكلب الأسود يقطع الصلاة وعلل ذلك بأن «الكلب الأسود شيطان» يقول ابن تيمية: «الكلب الأسود شيطان الكلاب والجن تتصور بصورته كثيراً، وكذلك بصورة القط الأسود؛ لأن السواد أجمع للقوى الشيطانية من غيره، وفيه قوة الحرارة».

جنان البيوت:

تشكل الجن بشكل وتظهر الناس، ولذا نهى الرسول ﷺ عن قتل جنان البيوت، خشية أن يكون هذا المقتول جنياً قد أسلم، ففي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بالمدينة نفراً من الجن قد أسلموا، فمن رأى شيئاً من هذه العوامر فليؤذنه ثلاثاً، فإن بدا له بعد فليقتله؛ فإنه شيطان».

وقد قتل أحد الصحابة حية من حيات البيوت، فكان في ذلك هلاكه، روى مسلم في صحيحه: أن أبا السائب دخل على أبي سعيد الخدري في

بيته، فوجده يصلي، قال: فجلست أنتظره حتى يقضي صلاته، فسمعت تحريكاً في عراجين في ناحية البيت، فالتفت، فإذا حية، فوثبت لأقتلها، فأشار إلي أن اجلس، فجلست، فلما انصرف أشار إلى بيت في الدار، فقال: أترى هذا البيت؟ قلت: نعم، قال: كان فيه فتى منا حديث عهد بعرس، قال: فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق، فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ بأنصاف النهار، يرجع إلى أهله، فاستأذنه يوماً، فقال له رسول الله ﷺ: «خذ عليك سلاحك، فإني أخشى عليك قريظة»، فأخذ الرجل سلاحه، ثم رجع، فإذا امرأته بين البابين قائمة، فأهوى إليها بالرمح ليطعن بها، وأصابته غيرة، فقالت له: اكفف عليك رمحك، وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني، فدخل فإذا بحية عظيمة منطوية على الفراش، فأهوى إليها بالرمح فانتظمها به، ثم خرج، فركزه في الدار، فاضطربت عليه، فما يدرى أيهما كان أسرع موتاً: الحية أم الفتى؟ قال فجئنا إلى رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له، وقلنا ادع الله يحييه لنا، فقال: «استغفروا لصاحبكم» ثم قال: «إن بالمدينة جنأ قد أسلموا، فإذا رأيتم منهم شيئاً فاذنوه ثلاثة أيام، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه، فإنما هو شيطان».

يستثنى من جنان البيوت نوع يقتل بدون استئذان، ففي صحيح البخاري عن أبي لبابة أن الرسول ﷺ قال: «لا تقتلوا الجنان، إلا كل أتر ذي طفيلتين؛ فإنه يسقط الولد، ويذهب البصر فاقتلوه».

وهل كل الحيات من الجن أم بعضها؟ يقول الرسول ﷺ: «الحيات مسخ الجن صورة، كما مسخت القرود والخنازير من بني إسرائيل» (رواه الطبراني وأبو الشيخ في العظمة بإسناد صحيح)، (راجع الأحاديث الصحيحة ١٠٤/٣).

ضعفهم وعجزهم:

الجن والشياطين فيهم جوانب قوة؛ وجوانب ضعف، قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

لا سلطان لهم على عباد الله الصالحين:

لم يعط الرب سبحانه - الشيطان - القدرة على إجبار الناس، وإكراههم على الضلال والكفر، ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٥]، ﴿وَمَا كَانَ لَّهُمُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ [سبا: ٢١]. ومعنى ذلك أن الشيطان ليس له طريق يتسلط به عليهم لا من جهة الحجة، ولا من جهة القدرة. والشيطان يدرك هذه الحقيقة: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [٣٩] إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ [الحجر: ٣٩، ٤٠].

وإنما يتسلط على العباد الذين يرضون بفكره، ويتابعون عن رضا وطواعية: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢]، وفي يوم القيامة يقول الشيطان لأتباعه الذين أضلهم وأهلكهم: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُهُمْ فَلَسْتُ جَبْتُهُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وفي الآية الأخرى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١٠٠].

والسلطان هو تسلطه عليهم بالإغواء والإضلال، وتمكنه منهم، بحيث يؤزهم على الكفر والشرك ويزعجهم إليه، ولا يدعهم يتركونه كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَتَانَا﴾ [مريم: ٨٣]، ومعنى تؤزهم: تحركهم وتهيجهم.

وسلطان الشيطان على أوليائه ليس له فيه حجة وبرهان، وإنما استجابوا له بمجرد دعوته إياهم، ولما وافقت أهواءهم وأغراضهم، فهم الذين أعانوا على أنفسهم، ومكنوا عدوهم من سلطانه عليهم بموافقته ومتابعته، فلما أعطوا بأيديهم، واستأسروا له سلط عليهم عقوبة لهم. فالله لا يجعل للشيطان على العبد سلطاناً، حتى جعل له العبد سبيلاً إليه بطاعته والشرك به، فجعل الله حيث شاء له عليه تسلطاً وقهراً.

وقد يسلط على المؤمنين بسبب ذنوبهم:

وفي الحديث: «إن الله تعالى مع القاضي ما لم يحد، فإذا جار تبرأ منه، وألزمه الشيطان» رواه الحاكم، والبيهقي بإسناد حسن (انظر صحيح الجامع ١٣٠/٢).

وقد حدثنا الله في كتابه عن شخص آتاه الله آياته، فعلمها، وعرفها، ثم إنه ترك ذلك كله، فسلط الله عليه الشيطان، فأغواه، وأضله، وأصبح عبدة تروى، وقصة تتناقل ﴿وَأَقْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنْسَلَخَ مِنْهَا فَٱتَّبَعَهُ الشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْءَاوِيكِ ۝﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَلَ ٱلْكَذِبَ ۖ كَمَثَلِ ٱلْكَذِبِ ۖ إِن يَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتَرُكْهُ يَلْهَثْ ذَٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

خوف الشيطان وهربه من بعض عباد الله:

قال الرسول ﷺ لعمر بن الخطاب: «إن الشيطان ليفرق منك يا عمر»، رواه أحمد، والترمذي، وابن حبان بإسناد صحيح (صحيح الجامع ٧٤/٢). وقال فيه أيضاً: «إني لأنظر شياطين الجن والإنس فروا من عمر»، رواه الترمذي بإسناد صحيح (صحيح الجامع ٣٢٩/٢).

وقد يصل الأمر أن يؤثر المسلم على قرينه الملازم له فيسلم، أخرج الإمام أحمد في مسنده، ومسلم في صحيحه عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة» قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «وإياي، ولكن الله أعاني عليه فلا يأمرني إلا بخير».

وفي رواية ابن عباس عن الإمام أحمد بإسناد على شرط الصحيح: «ولكن الله أعاني عليه فأسلم». وفي رواية عائشة عن مسلم: «ولكن ربي أعاني عليه حتى أسلم».

تسخير الجن لسليمان:

سخر الله لنبيه سليمان في جملة ما سخر الجن، والشياطين، يعملون له ما يشاء، ويعذب ويسجن العصاة منهم: ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُفَاةً حَيْثُ أَصَابَ ۝ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ۝ ۝ ۝ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۝﴾ [ص: ٣٦ - ٣٨].

وقال في سورة سبأ: ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغُ مِنْهُمْ عَن أَمْرِنَا نُدْخِلُهُ مِن عَذَابِ السَّعِيرِ ۝﴾ [سبأ: ١٢، ١٣].

وهذا التسخير على هذا النحو استجابة من الله لعبده سليمان عندما دعاه وقال: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِنِّي بَدِيلٌ﴾ [ص: ٣٥] وهذه الدعوة هي التي منعت نبينا محمد ﷺ من ربط الجنى الذي جاء بشهاب من نار، يريد أن يرميه في وجهه، ففي صحيح مسلم عن أبي الدرداء قال: قام رسول الله ﷺ يصلي، فسمعناه يقول: «أعوذ بالله منك»، ثم قال: «ألعنك بلعنة الله ثلاثاً»، وبسط يده كأنه يتناول شيئاً، فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله! قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً، لم نسمعك تقوله قبل ذلك، وأريناك بسطت يدك، فقال: «إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي، فقلت: أعوذ بالله منك ثلاث مرات، ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة، فلم يستأخر، ثم أردت أخذه، والله لولا دعوة أخي سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة». وقد تكرر هذا أكثر من مرة ففي صحيح مسلم أيضاً عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال: «إن عفريتاً من الجن جعل يتلفت علي البارحة ليقطع علي الصلاة، وإن الله أمكنني منه، فذعته، فلقد هممت أن أربطه إلى جنب سارية من سواي المسجد حتى تصبحوا تنظرون إليه أجمعون، أو كلكم، ثم ذكرت قول أخي سليمان ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِنِّي بَدِيلٌ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾»، فرده الله خاسئاً.

عجزهم عن الإتيان بالمعجزات:

زعم بعض الكفرة أن القرآن من صنع الشياطين قال تعالى: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ (٢١٠) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ [الشعراء: ٢١٠ - ٢١٢].

وتحدى الله بالقرآن الإنس والجن: ﴿قُلْ لِّينِ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: ٨٨).

لا يتمثلون بالرسول ﷺ في الرؤيا:

والشياطين تعجز عن التمثل في صورة الرسول ﷺ في الرؤيا: في الحديث الذي يرويه الترمذي في سننه بإسناد صحيح: «من رآني فإني أنا هو، فإنه ليس للشيطان أن يتمثل بي».

وهو في الصحيحين بلفظ: «من رآني فقد رأى الحق، فإن الشيطان لا يتزيا بي» (الجامع الصحيح ٢٩٣/٥).

والظاهر من الأحاديث أن الشيطان لا يتزيا بصورة الرسول ﷺ الحقيقية ولا يمنعه هذا من التمثل في غير صورة الرسول ﷺ والزعم بأنه رسول الله.

ولذلك فلا يجوز أن يحتج بهذا الحديث على أن كل من رأى الرسول ﷺ في المنام أنه رآه حقاً، إلا إذا كانت صفته هي الصفة التي روتها لنا كتب الحديث. وإلا فكثير من الناس يزعم أنه رآه على صورة مخالفة للصورة المروية في كتب الثقات.

لا يستطيعون أن يتجاوزوا حدوداً معينة في أجواء الفضاء:

قال تعالى: ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسُ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَفْذُوا مِن أَمْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَأَنْفُذُوا لَا تَفْذُوكَ إِلَّا سُلْطَانِي﴾ (٣٣) فَإِنِّي إِلَٰهٌ رَبُّكُمْ تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاْطُ مِن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ ﴿٣٥﴾ [الرحمن: ٣٣ - ٣٥].

فمع قدراتهم وسرعة حركتهم لهم مجالات لا يستطيعون أن يتعدوها، وإلا فإنهم هالكون.

لا يستطيعون فتح باب أغلق وذكر اسم الله عليه:

أخبر بذلك الرسول ﷺ حيث يقول: «أجيفوا الأبواب، واذكروا اسم الله عليها؛ فإن الشيطان لا يفتح باباً أجيف عليه» رواه أبو داود، وأحمد، وابن حبان، والحاكم، بإسناد صحيح (الجامع الصحيح ١/٢٢٩).

وفي الحديث المتفق عليه: «فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً، وأوكوا قريكم، واذكروا اسم الله، وخمروا آتيتكم، واذكروا اسم الله، ولو أن تعرضوا عليها شيئاً، وأطفئوا مصابيحكم» (الجامع الصحيح ١/٢٠٧).

وفي مسند أحمد: «أغلقوا أبوابكم، وخمروا آتيتكم، وأوكوا أسقيتكم، وأطفئوا سراجكم، فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً، ولا يكشف غطاء، ولا يحل وكاء».

الغاية من خلقهم

خلق الجن للغاية نفسها التي خلق الإنس من أجلها: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) [الذاريات: ٥٦].

ففي يوم القيامة يقول الله مخاطباً كفرة الجن والإنس موبخاً مبكتاً: ﴿يَمَعْشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ آلَ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ مَا أُنْتِ بِوَيْدُرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ حَيَوَاهُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ (١٣٠) [الأنعام: ١٣٠].

أنهم سيعذبون في النار قوله تعالى: ﴿قَالَ أَذْخَلُوا فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨] وقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩]. وقال: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣] والدليل على أن المؤمنين من الجن يدخلون

الجنة قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ ﴿٤٦﴾ فَإِنِّي أَلَا رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ [الرحمن: ٤٦، ٤٧].

يقول ابن مفلح في كتابه الفروع: (الجن مكلفون في الجملة إجماعاً، يدخل كافرهم النار إجماعاً، ويدخل مؤمنهم الجنة).

شبهة وجوابها:

فكيف تؤثر النار فيهم وقد خلقوا منها؟

والجواب أن الأصل الذي خلقوا منه النار، أما بعد خلقهم فليسوا كذلك، إذ أصبحوا خلقاً مخالفاً للنار، يوضح هذا أن الإنسان خلق من تراب، ثم بعد إيجاده أصبح مخالفاً للتراب، ولو ضربت إنساناً بقطعة مشوية من الطين فقد تقتله ولو رميته بالتراب لآذاه، ولو دفنته فيه فإنه يختنق، فمع أنه من تراب إلا أن التراب يؤذيه، فكذلك الجن.

عموم رسالة محمد ﷺ للإنس والجن:

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ رَبَّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن: ١، ٢].

سورة الأحقاف: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَصَرُوهُ قَالُوا أَنصَرُوا فَلَمَّا فُتِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ، يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُم مِّنْ عَذَابِ آلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣٢].

وقصة يرويها البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء،

وأرسلت علينا الشهب. قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، وانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها يبتغون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك نفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ وهو بنخلة عامداً إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن - قالوا: استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك حين رجعوا إلى قومهم وقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجياً يهدي إلى الرشد فآمنا به.

وفود الجن:

روى مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده عن علقمة قال: قلت لعبدالله بن مسعود رضي الله عنه: هل صحب رسول الله ﷺ ليلة الجن منكم أحد؟ فقال ما صحبه منا أحد، ولكننا فقدناه ذات ليلة بمكة، فقلنا: اغتيل؟ استطير؟ ما فعل؟ قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما كان وجه الصبح - أو قال - في السحر إذا نحن به يجيء من قبل حراء، فقلنا يا رسول الله، فذكروا له الذي كانوا فيه، فقال: «إنه أتاني داعي الجن فأتيتهم فقرأت عليهم» قال: فانطلق، فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وفي رواية عن الطبري عن ابن مسعود: «بت الليلة أقرأ على الجن واقفاً بالحجون».

ومما قرأه عليهم ﷺ سورة الرحمن، يقول ﷺ: «لقد قرأتها (يعني سورة الرحمن) على الجن ليلة الجن، فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قوله: ﴿وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾؟ قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد» رواه البزار والحاكم وابن جرير بإسناد صحيح (الجامع الصحيح ٣٠/١).

- وقد ورد في بعض الروايات في صحيح البخاري أن بعض الجن الذين أتوه كانوا من ناحية من نواحي اليمن من مكان يسمى (نصيبين)، فقد روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أتاني وفد نصيبين - ونعم

الجن - فسألوني الزاد، فدعوت الله لهم ألا يمروا بعظم ولا روثة إلا وجدوا عليها طعاماً».

دعوتهم للإنس:

وفي بعض الأحاديث الصحاح أن بعض الجن كان له دور في هداية الإنس، ففي صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب سأل رجلاً كان كاهناً في الجاهلية عن أعجب ما جاءته به جنيته. قال: «بينما أنا يوماً في السوق جاءني أعرف فيها الفزع فقالت:

ألم تر الجن وإبلاسها ويأسها بعد إنكاسها
ولحقوها بالقلاص وأحلاسها

قال عمر رضي الله عنه صدق، بينما أنا نائم عند ألهمهم إذ جاء رجل بعجل، فذبحه، فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً قط أشد صوتاً منه، يقول: يا جليح، أمر نجيح، رجل فصيح، يقول: لا إله إلا الله، قال: فوثب القوم، فقلت: لا أبرح حتى أعلم علم ما وراء هذا، ثم نادى: يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول: لا إله إلا الله، فقممت فما نشبنا أن قيل هذا نبي».

أمرهم بالخير وشهادتهم للمسلم:

وقد قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه لأبي صعصعة الأنصاري: (إني أراك تحب البادية والغنم، فإذا كنت في غنمك وباديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة)، قال أبو سعيد، سمعته من رسول الله ﷺ (رواه البخاري).

مراتبهم في الصلاح والفساد:

وهم في هذا طوائف: فمنهم الكامل في الاستقامة والطيبة وعمل

الخير، ومنهم من هو دون ذلك، ومنهم البله المغفلون، ومنهم الكفرة، وهم الكثرة الكاثرة، يقول الله سبحانه في حكايته عن الجن الذين استمعوا إلى القرآن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا﴾ ﴿١١﴾ [الجن: ١١]، أي منهم الكاملون في الصلاح، ومنهم أقل صلاحاً، فهم مذاهب مختلفة كما هو حال البشر.

طبيعة الشيطان:

أعطى الله الجن القدرة على الإيمان والكفر، ولذلك كان الشيطان عابداً مع الملائكة ثم كفر.

فلما تحول إلى الكفر ورضي به أصبح محباً للشر طالباً له، يتلذذ بفعله والدعوة إليه، ويحرص عليه بمقتضى خبث نفسه، وإن كان موجباً لعذابه.

﴿وَلَا غُورِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ [الحجر: ٣٩، ٤٠].

وهذا يكون في الإنسان، فالإنسان إذا فسدت نفسه أو مزاجه يشتهي ما يضره، ويلتذ به، بل يعشق ذلك عشقاً يفسد عقله ودينه وخلقه وبدنه وماله، وحسبك أن تتأمل في حال شارب الخمر والدخان، فإن هذين يقتلان شاربهما، ويفتكان بهما، ولا يستطيعان منهما خلاصاً إلا بشق الأنفس.

أسباب العداء وتاريخه:

العداء بين الإنسان والشيطان عداء بعيد الجذور، يعود تاريخه إلى اليوم الذي شكل الله فيه آدم قبل أن ينفخ فيه الروح، فأخذ الشيطان يطيف به، ويقول: لئن سلطت علي لأعصينك، ولئن سلطت عليك لأهلكك.

ففي صحيح مسلم عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «لما صور الله آدم في الجنة، تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به، ينظر ما هو، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقاً لا يتماسك».

فلما نفخ الله في آدم الروح، وأمر الملائكة بالسجود لآدم، وكان

إبليس يتعبد الله مع ملائكة السماء فشمله الأمر، ولكنه تعاضم في نفسه واستكبر، وأبى السجود وقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.

لقد فتح أبونا آدم عينيه، فإذا به يجد أعظم تكريم، يجد الملائكة ساجدين له، ولكنه يجد عدواً رهيباً يتهدهه وذريته بالهلاك والإضلال.

وطرد الله الشيطان من جنة الخلد بسبب استكباره، وحصل على وعد من الله بإبقائه حياً إلى يوم القيامة: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (٧) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (١٥) [الأعراف: ١٤، ١٥] وقد قطع اللعين على نفسه عهداً بإضلال بني آدم والكيد لهم: ﴿قَالَ فِيمَا آغَايَيْتَنِي لأَقْدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١١) ثُمَّ لَا تَبْتَهُهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) [الأعراف: ١٦، ١٧] وقوله هذا يصور مدى الجهد الذي يبذله لإضلال ابن آدم، فهو يأتيه من كل طريق ممكن، عن اليمين والشمال، ومن الأمام، والخلف أي من جميع الجهات قال الزمخشري: في تفسير هذه الآية: «ثم لا تبتهنهم من الجهات الأربع التي يأتي منها العدو في الغالب، وهذا مثل لوسوسته إليهم، وتسويله لهم ما أمكنه وقدر عليه، كقوله: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَعَتِ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخِيلِكَ وَرَجُلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤]».

تحذير الله لنا من الشيطان:

قال تعالى: ﴿يَبْنَیْ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا﴾ [الأعراف: ٢٧].

وقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]. وقال: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩].

وعداوة الشيطان لا تحول ولا تزول؛ لأنه يرى أن طرده ولعنه وإخراجه من الجنة كان بسبب أبينا آدم، فلا بد أن ينتقم من آدم وذريته من بعده: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَحْرَمْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢].

أهداف الشيطان:

الهدف البعيد:

هو أن يلقي الإنسان في الجحيم، ويحرمه من الجنة: ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

الأهداف القريبة:

١ - إيقاع العباد في الشرك والكفر:

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ﴾ [الحشر: ١٦].

وروى مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار أن النبي ﷺ خطب ذات يوم، فقال في خطبته: «يا أيها الناس، إن الله تعالى أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا، إن كل ما غفله عبدي فهو له حلال. وإنني خلقت عبادي حنفاء كلهم، فأتتهم الشياطين، فاجتالهم عن دينهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً».

٢ - إذا لم يستطع تكفيرهم فيوقعهم في الذنوب:

ففي سنن الترمذي وابن ماجه بإسناد حسن: «ألا إن الشيطان قد أيس أن يعبد في بلدكم هذا أبداً، ولكن ستكون له طاعة في بعض ما تحقرون من أعمالكم، فيرضى بها». وفي صحيح البخاري وغيره: «إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم». أي بإيقاع العداوة والبغضاء بينهم، وإغراء بعضهم ببعض، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَفَرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ﴾ [المائدة: ٩١].

وهو يأمر بكل شر: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩].

وخلاصة الأمر فكل عبادة محبوبة لله فهي بغیضة إلى الشيطان، وكل معصية مكروهة للرحمن فهي محبوبة للشيطان.

٣ - صدّه العباد عن طاعة الله :

ففي الحديث : «إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام فقال: تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء آبائك؟! فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال: تهاجر وتدع أرضك وسماءك؟ وإنما مثل المهاجر كمثّل الفرس في الطول، (الطول الحبل الطويل، يشد حد طرفيه في وتد أو غيره، والطرف الآخر في يد الفرس ليدور فيه، ويرعى ولا يذهب لوجهه). فعصاه فهاجر. ثم قعد له بطريق الجهاد، فقال: تجاهد فهو جهد النفس والمال، فتقاتل فتقتل فتتكح المرأة ويقسم المال؟! فعصاه فجاهد، فمن فعل ذلك كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، ومن قتل كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، وإن وقصته دابته كان حقاً على الله أن يدخله الجنة». رواه أحمد والنسائي وابن حبان بإسناد صحيح (صحيح الجامع ٧٢/٢). ومصدق ذلك في كتاب الله ما حكاه الله عن الشيطان أنه قال لرب العزة: ﴿قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۚ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَلَا يَجِدُوا أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

٤ - إفساد الطاعات :

إذا لم يستطع الشيطان أن يصدّهم عن الطاعات، فإنه يجتهد في إفساد العبادة والطاعة، كي يحرمهم الأجر والثواب، فقد جاء أحد الصحابة إلى الرسول ﷺ يقول له: إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي، يلبسها عليّ.

فقال رسول الله ﷺ: «ذلك شيطان يقال له: خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل على يسارك ثلاثاً» قال: ففعلت ذلك، فأذهب الله عنه رواه مسلم في صحيحه.

فإذا دخل العبد في صلاته أجلب عليه الشيطان بوسواس له ويشغله

عن طاعة الله ويذكره بأمور الدنيا، ففي صحيح مسلم - أن الرسول ﷺ - قال: «إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة، أحال له ضراط، حتى لا يسمع صوته، فإذا سكنت رجع فوسوس، فإذا سمع الإقامة، ذهب حتى لا يسمع صوته، فإذا سكنت رجع فوسوس» رواه مسلم.

وفي رواية: «فإذا قضى الثوب، أقبل، حتى يخطر بين المرء ونفسه، يقول له: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر من قبل حتى يظل الرجل ما يدرى كم صلى» رواه البخاري ومسلم.

هـ - الإيذاء البدني والنفسي:

أ - مهاجمة الرسول ﷺ:

الحديث الذي يخبر فيه الرسول ﷺ بمهاجمة الشيطان له ومجيء الشيطان بشهاب من نار ليرميه في وجه الرسول ﷺ.

ب - الحلم من الشيطان:

للشيطان القدرة أن يري الإنسان في منامه أحلاماً تزعجه وتضايقه بهدف إحزانه وإيلامه.

فقد أخبر الرسول ﷺ أن الرؤى التي يراها المرء في منامه ثلاثة: رؤيا من الرحمن، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا حديث نفس (صحيح الجامع ١٨٤/٣، ١٨٥)، وفي صحيح البخاري أن الرسول ﷺ قال: «إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها، فإنما هي من الله، فليحمد الله عليها، وليحدث بها، وإذا رأى غير ذلك ما يكره، فإنما هي من الشيطان، فليستعذ بالله، ولا يذكرها لأحد، فإنها لا تضره».

ج - إحراق المنازل بالنار:

وذلك بواسطة بعض الحيوانات التي يغريها بذلك، ففي سنن أبي داود وصحيح ابن حبان بإسناد صحيح أن الرسول ﷺ قال: «إذا نمت فاطفئوا سُرُجكم، فإن الشيطان بدل مثل هذه (الفأرة) على هذا (السراج) فيحرقكم».

د - تخبط الشيطان للإنسان عند الموت:

وقد كان الرسول ﷺ يستعيز من ذلك فيقول: «اللهم إني أعوذ بك من التردى، والهدم، والغرق، والحرق، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبراً، وأعوذ بك من الموت لديغاً» رواه النسائي والحاكم بإسناد صحيح، (صحيح الجامع ٤٠٥/١).

هـ - إيذاؤه الوليد حين يولد:

يقول الرسول ﷺ: «كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه إلا مريم وابنها»، رواه مسلم، (صحيح الجامع ١٧١/٤). وفي صحيح البخاري: «كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه بأصبعه حين يولد غير عيسى ابن مريم، ذهب يطعن، فطعن في الحجاب». وفي البخاري أيضاً: «ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخاً من مس الشيطان، غير مريم وابنها». والسبب في حماية مريم وابنها من الشيطان استجابة الله دعاء أم مريم حين ولدتها: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

فلما كانت صادقة في طلبها استجاب الله لها فأجار مريم وابنها من الشيطان الرجيم، وممن أجاره الله أيضاً عمار بن ياسر، ففي صحيح البخاري أن أبا الدرداء قال: أفيدكم الذي أجاره الشيطان على لسان نبيه، قال المغيرة: الذي أجاره الشيطان على لسان نبيه يعني عماراً.

و - مرض الطاعون من الجن:

أخبر الرسول ﷺ أن «فناء أمته بالطعن والطاعون؛ وخز أعدائكم من الجن، وفي كل شهادة»، رواه أحمد والطبراني بإسناد صحيح (صحيح الجامع ٩٠/٤).

ز - بعض الأمراض الأخرى:

قال ﷺ للمرأة المستحاضة: «إنما هذه ركضة من ركضات الشيطان»، رواه الأربعة بإسناد حسن (صحيح الجامع ١٩٦/٣).

ح - مشاركة لبني آدم في طعامهم وشرابهم ومساكنهم:

ومن الأذى الذي يجلبه الشيطان للإنسان أنه يعتدي على طعامه وشرابه فيشركه فيهما، ويشركه في المبيت في منزله، يكون ذلك منه إذا خالف العبد هدى الرحمن، أو غفل عن ذكره، أما إذا كان ملتزماً بالهدى الذي هدانا الله إليه، لا يغفل عن ذكر الله، فإن الشيطان لا يجد سبيلاً إلى أموالنا وبيوتنا. فالشيطان لا يستحل الطعام إلا إذا تناول منه أحد بدون أن يسمي، فإذا ذكر اسم الله عليه، فإنه يحرم على الشيطان، روى مسلم في صحيحه عن حذيفة، قال: كنا إذا حضرنا مع النبي ﷺ طعاماً لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده، وإنا حضرنا معه مرة طعاماً. فجاءت جارية كأنها تدفع، فذهبت لتضع يدها في الطعام، فأخذ رسول الله ﷺ بيدها، ثم جاء أعرابي كأنما يدفع فأخذ بيده. فقال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان ليستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها، فأخذت بيدها، فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به، فأخذت بيده، والذي نفسي بيده إن يده في يدي مع يدها».

وقد أمرنا الرسول ﷺ أن نحفظ أموالنا من الشيطان وذلك بإغلاق الأبواب، وتخميم الآنية، وذكر اسم الله؛ فإن ذلك حرز لها من الشيطان، يقول ﷺ: «أغلقوا الأبواب، واذكروا اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً، وأوكوا قريبكم، واذكروا اسم الله، وخمروا آيتكم، واذكروا اسم الله، ولو أن تعرضوا عليها شيئاً، واطفئوا مصابيحكم» رواه مسلم.

ويأكل الشيطان ويشرب مع الإنسان إذا أكل أو شرب بشماله، وكذلك إذا شرب واقفاً، ففي مسند أحمد عن عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أكل بشماله أكل معه الشيطان، ومن شرب بشماله شرب معه الشيطان».

وفي المسند أيضاً عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ رأى رجلاً يشرب قائماً، فقال له: «قه»، قال: لم؟ قال: «أيسرك أن يشرب معك الهر؟» قال: لا، قال: «فإنه قد شرب معك من هو شر من الشيطان».

وكي تطرد الشياطين من المنزل لا تنسى أن تذكر اسم الله عند دخول

المنزل، وقد أرشدنا الرسول ﷺ لذلك، حيث يقول: «إذا دخل الرجل بيته فذكر اسم الله حين يدخل وحين يطعم، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء هنا، وإن دخل ولم يذكر اسم الله عند دخوله قال: أدركتم المبيت، ومن لم يذكر اسم الله عند طعامه قال أدركتم المبيت والعشاء».

ط - مس الشيطان للإنسان (الصريح):

يقول ابن تيمية (مجموعة الفتاوى ٢٤/٢٧٦): «دخول الجن في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾» [البقرة: ٢٧٥].

وقال عبدالله ابن الإمام أحمد بن حنبل: «قلت لأبي: إن أقواماً يقولون: إن الجن لا يدخل في بدن المصروع، فقال: يا بني يكذبون، هذا يتكلم على لسانه».

يقول ابن تيمية: «هذا الذي قاله مشهور، فإنه يصرع الرجل فيتكلم بلسان لا يعرف معناه، ويضرب على بدنه ضرباً عظيماً لو ضرب به جمل لأثر به أثراً عظيماً، والمصروع مع هذا لا يحس بالضرب، ولا بالكلام الذي يقوله، وقد يجبر المصروع، وغير المصروع، ويجبر البساط الذي يجلس عليه، ويحول الآلات... ويجري غير ذلك من الأمور من شهادتها أفادته علماً ضرورياً، بأن الناطق على لسان الإنسان، والمحرك لهذه الأجسام جنس آخر غير الإنسان».

ويقول رحمه الله: «وليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجن في بدن المصروع وغيره، ومن أنكر ذلك وادعى أن الشرع يكذب ذلك، فقد كذب على الشرع، وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك».

وذكر في (ج ١٩/١٢) أن ممن أنكر دخول الجن بدن المصروع طائفة من المعتزلة كالجائي وأبي بكر الرازي.

قائد المعرفة:

إبليس يرسل البعوث والسرايا في الاتجاهات المختلفة، ويعقد مجالس يناقش جنوده وجيوشه فيما صنعت، ويشني على الذين أحسنوا وأجادوا في الإضلال وفتنة الناس. روى الإمام مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الشيطان يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه في الناس فأقربهم عنده منزلة أعظمهم عنده فتنة، يجيء أحدهم فيقول: ما زلت بفلان حتى تركته وهو يقول كذا وكذا، فيقول إبليس: لا والله ما صنعت شيئاً، ويجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله».

والشيطان له خبرة طويلة مديدة في مجال الإضلال، ولذلك فإنه يجيد وضع خططه، ونصب مصايد، فهو لم يزل حياً يضلل الناس منذ وجد الإنسان إلى اليوم وإلى أن تقوم الساعة: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [١٤، ١٥] [الأعراف: ١٤، ١٥] وهو دؤوب على القيام بالشر الذي نذر نفسه له، لا يكل ولا يمل، ففي الحديث: «إن الشيطان قال: وعزتك وجلالك لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني» رواه أحمد والحاكم بإسناد حسن (صحيح الجامع ٧٢/٢).

الجنود:

وله فريقان من الجنود: فريق من الجن، وفريق من بني الإنسان.

جنوده من الجن:

الشيطان له جنود وأعوان من الجن، وقد سبق ذكر حديث إرساله سراياه، وفي القرآن ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأُنَجِّبُ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَجَجَلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوَّلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: ٦٤] فله جنود يهاجمون راكبين راجلين، يرسلهم على العباد يحركونهم إلى الشر تحريكاً ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَسُّمَهُمْ أَزْأًا﴾ [مريم: ٨٣].

لكل إنسان قرين:

كل إنسان يلزمه شيطان لا يفارقه كما في حديث عائشة عند مسلم قالت: «خرج النبي ﷺ من عندي ليلاً، فغرت عليه، فجاء، فرأى ما أصنع، فقال: ما لك يا عائشة: أغرت؟ قلت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك؟ فقال: أقد جاءك شيطانك؟ قلت: يا رسول الله، أو معي شيطان؟ قال: نعم، قلت: ومع كل إنسان شيطان؟ قال: نعم، قلت ومعك يا رسول الله؟ قال: نعم، ولكن ربي أعاني عليه حتى أسلم».

وروى مسلم والإمام أحمد عن عبدالله، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة» قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «وإياي لكن الله أعاني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير».

أولياؤه من الإنس:

الشيطان عدو الإنسان الأول الذي يسعى في إهلاكه، ومع ذلك فإن غالبية البشر اتخذه ولياً، يسرون على خطاه، ويرضون بفكره، وما أصبح هذا بالإنسان العاقل أن يتخذ عدوه ولياً ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

ولقد خسروا باتخاذهم ولياً خسراناً مبيناً: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١١٩]. خسروا لأن الشيطان سيدسي نفوس ويفسدها، ويحرمهم من نعمة الهداية، ويرمي بهم في الضلالات والشبهات ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاءُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧] وخسروا لأنه سيقودهم إلى النار في يوم القيامة، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، وهؤلاء أولياء الشيطان يتخذهم الشيطان مطية وجنوداً ينفذ بهم مخططاته وأهدافه.

كيدہ وخذلانه لأوليائه:

يتولى كثير من الناس الشيطان، ولكنه بكيد لهم ويوردهم الموارد التي فيها هلاكهم وعطيهم، ويتخلى عنهم ويسلمهم ويقف يشمت بهم، ويضحك منهم، فيأمرهم بالقتل والسرقة والزنا ويدل عليهم ويفضحهم، فعل ذلك بالمشركين في معركة بدر عندما جاءهم في صورة سراقة بن مالك ووعدهم بالنصر والغلب: ﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨]. وأسلمهم، كما قال حسان بن ثابت:

دلاهم بغرور ثم أسلمهم إن الخبيث لمن والاه غرار
وكذلك فعل بالراهب الذي قتل المرأة وولدها، وأمره بالزنا ثم قتلها، ثم دل أهلها عليه، وكشف أمره لهم، ثم أمره بالسجود له، فلما فعل فر عنه وتركه.

وفي يوم القيامة يقول لأوليائه بعد دخوله ودخولهم النار: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ [إبراهيم: ٢٢] فأوردهم شر الموارد ثم تبرأ منهم كل البراءة.

الشيطان يجند أوليائه لخدمته ومحاربة المؤمنين:

الناس فريقان: أولياء للرحمن، وأولياء للشيطان. وأولياء الشيطان هم الكفرة على اختلاف مللهم ونحلهم: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

والشيطان يسخر هؤلاء لتضليل المؤمنين بما يلقونه من الشبه والشكوك ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجْدِلُواكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وما هذه الشبهات التي يقوم بها المستشرقون والصليبيون واليهود والملحدون إلا من هذا القبيل.

ويدفعهم لإيذاء المؤمنين نفسياً ﴿إِنَّمَا اتَّجَوْا مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُونَ الَّذِينَ

﴿أَمَنُوا﴾ [المجادلة: ١٠] فقد كان يدفع المشركين للتناجي حين وجود المسلمين على مقربة منهم فيظن المسلم أنهم يتآمرون عليه...

بل يدفعهم إلى حرب المسلمين وقتالهم ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُواْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (١٧٥) [آل عمران: ١٧٥] وأوليأؤه جمع كبير: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٠) [سبا: ٢٠].

أساليب الشيطان في إضلال الإنسان:

١ - تزيين الباطل:

قال اللعين لرب العزة: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٣٩) [الحجر: ٣٩، ٤٠].

يقول ابن القيم في هذا الصدد: «ومن مكايده أنه يسحر العقل دائماً حتى يكيد، ولا يسلم من سحره إلا من شاء الله، فيزين له الفعل الذي يضره حتى يخيل إليه أنه أنفع الأشياء، وينفر من الفعل الذي هو أنفع الأشياء له، حتى يخيل له أنه يضره، فلا إله إلا الله، كن فتن بهذا السحر من إنسان! وكم حال به بين القلب وبين الإسلام والإيمان والإحسان! وكم جلا الباطل وأبرزه في صورة مستحسنة، وشنع الحق وأخرجه في صورة مستهجنة! وكم بهرج من الزيوف على الناقلين، وكم روج من الزغل على العارفين! فهو الذي من سحر العقول حتى ألقى أربابها في الأهواء المختلفة والآراء المتشعبة، وسلك بهم من سبل الضلال كل مسلك، وألقاهم من المهالك في مهلك بعد مهلك، وزين لهم عبادة الأصنام، وقطيعه الأرحام، وواد البنات، ونكاح الأمهات، ووعدهم بالفوز بالجنات مع الكفر والفسوق والعصيان، وأبرز لهم الشرك في أعظم صورة التعظيم، والكفر بصفات الرب تعالى وعلوه وتكلمه بكتبه في القالب التنزيه، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قالب التودد إلى الناس، وحسن الخلق معهم، والعمل بقوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] والإعراض عما جاء به الرسول ﷺ

في قالب التقليد، والاكتفاء بقول من هو أعلم منهم، والنفاق والإدهان في دين الله في قالب العقل المعيشي الذي يندرج به العبد بين الناس (إغاثة اللفهان ١/١٣٠).

تسمية الأمور المحرمة بأسماء محببة:

ومن تغرير الشيطان بالإنسان وتزيينه الباطل أن يسمي الأمور المحرمة التي هي معصية الله بأسماء محببة للنفوس خداعاً للإنسان وتزويراً للحقيقة، كما سمي الشجرة المحرمة الخلد كي يزين لآدم الأكل منها: ﴿قَالَ يَتَكَاذِبُ هَلْ أَذُنْكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٌ لَّا يَبْلُ﴾ [طه: ١٢٠].

قول ابن القيم: «ومنه ورث أتباعه تسمية الأمور المحرمة بالأسماء التي تحب النفوس ميماتها، فسموا الخمر: أم الأفراح، وسموا أخاها بلقمة الراحة، وسموا الربا بالمعاملة، وسموا المكوس بالحقوق السلطانية...». واليوم يسمون الربا الفائدة، والرقص والغناء والتمثيل والتماثيل فنا.

٢ - الإفراط والتفريط:

يقول ابن القيم في هذه المسألة: «وما أمر الله عز وجل بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما تقصير وتفريط، وإما إفراط وغلو، فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين، فإنه يأتي إلى قلب العبد فيشامه، فإن وجد فيه فتور وتوانياً وترخيصاً أخذه من هذه الخطئة، فثبطه وأقعده، وضربه بالكسل والتواني والفتور، وفتح له باب التأويلات والرجاء وغير ذلك، حتى ربما ترك العبد الأمور جملة.

وإن وجد عنده حذراً وجداً، وتشميراً ونهضة، وأيس أن يأخذه من هذه الباب، أمره بالاجتهاد الزائد، وسؤل له أن هذا لا يكفيك، وهمتك فوق هذا، وينبغي لك أن تزيد على العاملين، وأن لا تترقد إذا رقدوا، ولا تفطر إذا أفطروا، وأن لا تفتر إذا فتروا، وإذا غسل أحدهم يديه ووجهه ثلاث مرات، فاغسل أنت سبعاً، وإذا توضأ للصلاة، فاغتسل أنت لها، ونحو ذلك من الأفراد والتعدي، فيحمله على الغلو والمجاوزة، وتعدي الصراط المستقيم، كما يحمل الأول على التقصير دونه وألا يقربه،

ومقصوده من الرجلين إخراجهما عن الصراط المستقيم: هذا بألا يقربه ولا يدنونه منه، وهذا بأن يجاوزه ويتعداه، وقد فتن بهذا أكثر الخلق، ولا ينجى من ذلك إلا علم راسخ، وإيمان وقوة على محاربته ولزوم الوسط والله المستعان» (الوابل الصيب ص ١٩).

٣ - تهيئته العباد عن العمل ورميهم بالتسويف والكسل:

ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم (القافية مؤخر الرأس) إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب كل عقدة مكانها، عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقده كلها، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان».

وفي البخاري ومسلم: «إذا استيقظ أحدكم من منامه فتوضأ، فليستنثر ثلاثاً، فإن الشيطان يبيت على خيشومه».

وسئل الرسول ﷺ عن رجل نام ليلة حتى أصبح، فقال: «ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه» رواه البخاري.

٤ - الوعد والتمنية:

﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠].

يعد الكفرة في قتالهم المؤمنين بالنصر والتمكين والعزة والغلبة، ثم يتخلى عنهم ويلوي هارباً: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنَّ جَارَ لَكُمْ فُلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨].

٥ - إظهار النصيح للإنسان:

يدعو الشيطان المرء إلى المعصية يزعم أنه ينصح له ويريد خيره، وقد أقسم لأبينا على أنه ناصح له: ﴿وَقَاسَمُهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١].

٦ - إنساؤه العبد ما فيه خيره وصلاحه:

وقال صاحب موسى لموسى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُوتَ وَمَا أَسْنَيْتُهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف: ٦٣].

ونهى الله رسوله أن يجلس هو أو واحد من أصحابه في المجالس التي يستهزأ فيها بآيات الله ولكن الشيطان قد يُنس الإنسان مراد ربه منه فيجالس هؤلاء المستهزئين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آبِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

وطلب نبي الله يوسف إلى السجين الذي ظن بأنه سينجو من القتل ويعود لخدمة الملك أن يذكره عند مليكه فأنسى الشيطان هذا الإنسان أن يذكر لمملكه نبي الله يوسف فيمكث يوسف في السجن بضع سنين ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢].

٧ - دخوله إلى النفس من الباب الذي تحبه وتهواه:

يقول ابن القيم في هذا الموضوع (إغاثة اللهفان ١/١٣٢) «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم حتى يصادف نفسه ويخالطه، ويسألها عما تحبه وتؤثره، فإذا عرفه استعان بها على العبد، ودخل عليه من هذا الباب، وكذلك علم إخوانه وأوليائه، من الإنس إذا أرادوا أغراضهم الفاسدة من بعضهم بعضاً أن يدخلوا عليهم من الباب الذي يحبونه ويهوونه، فإنه باب لا يخذل عن حاجته من دخل منه، ومن رام الدخول من غيره فالباب عليه مسدود، وهو عن طريق مقصده مسدود».

٨ - إلقاء الشبهات:

ومن أساليبه في إضلال العباد زعزعة العقيدة بما يلقى من شكوك وشبهات، وقد حذرنا الرسول ﷺ من بعض هذه الشبهات التي يلقىها، ففي حديث البخاري ومسلم: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟» ولم

يسلم الصحابة رضوان الله عليهم من شبهاته وشكوكه، وجاء بعضهم إلى الرسول ﷺ يشكون ما يعانونه من شكوكه ووساوسه، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء ناس من أصحاب رسول الله ﷺ إلى النبي ﷺ فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به! قال: «أوقد وجدتموه؟» قالوا: نعم. قال: «ذلك صريح الإيمان».

٩ - الخمر والميسر والأنصاب والأزلام:

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْخَمْرِ وَالْأَنصَابِ وَالْأَزْلَامِ يَجْئُونَ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوا لَكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

وروى مسلم وأصحاب السنن أن رجلاً من الأنصار صنع طعاماً لبعض الصحابة، ثم سقاهاهم خمرأً قبل أن ينزل تحريمها، فلما سكروا تفاخروا، فتعاركوا، وأصاب سعد بن أبي وقاص من هذا العراك أذى، فقد ضربه أحدهم بلحى بعير، فأصاب أنفه، فأثر فيه أثراً صاحبه طيلة حياته. وتقدم أحد الصحابة يصلي بالناس وهو سكران قبل نزول تحريم الخمر فقراً: ﴿قُلْ يَأْتِيهَا الْكُفْرُونَ ﴿٩١﴾﴾ ﴿أَعْبُدْ مَا تَعْبُدُونَ﴾ فأنزل الله: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣].

١٠ - السحر:

ومما يضل به الشياطين أبناء آدم السحر، فهم يعلمونهم هذا العلم الذي يضر ولا ينفع، ويكون هذا العلم سبيلاً للتفريق بين المرء وزوجه، والتفريق بين الزوجين يعتبره الشيطان من أعظم الأعمال التي يقوم بها جنوده كما سبق.

قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مِثْقَلِ ذَرَّةٍ مِّنَ الْمُنَىٰ وَمَا كَفَرُوا وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِإِذْنِ هَارُونَ وَمَنْزُورٌ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِبَصِيرِينَ بِهِ مِنْ

أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَعْلَمُونَ مَا يَصُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَئِنَّ مَا شَكَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ [البقرة: ١٠٢].

هل للسحر حقيقة:

اختلف العلماء في ذلك فمن قائل: أنه تخيل لا حقيقة له، ﴿قَالَ بَلْ أَلْقَوْا فَإِذَا رَجَائُهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ بِخَيْلٍ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَتَىٰ تَتَىٰ﴾ [طه: ٦٦] ومن قائل أن له حقيقة كما دلت عليه آية البقرة، والصحيح أنه نوعان: نوع هو تخيل يعتمد على الحيل العلمية وخفة الحركة، ونوع له حقيقة يفرق به بين المرء وزوجه، ويؤدي به.

سحر اليهود للرسول ﷺ:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «سحر رسول الله ﷺ يهودي من يهود بني زريق، يقال له لبید بن الأعصم، حتى كان رسول الله ﷺ، يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله.

حتى إذا كان ذات يوم، دعا رسول الله ﷺ، ثم دعا، ثم دعا - أي دعا ربه مرات - ثم قال: «يا عائشة أشعرت أن الله أفناني فيما استفتيته فيه؟ (أي أجابني فيما طلبت).

جاءني رجلان، فقعده أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي. فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي، أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي:

ما وجه الرجل؟

قال: مطبوب (أي مسحور).

قال: من طبه؟

قال: لبید بن الأعصم.

قال: في أي شيء؟

قال: في مُشط ومشاطه - أي شعر سقط عند التسريح - وجف طلعة ذكر (أي غشاء الطلع).

قال: فأين هو؟

قال: في بئر ذي أروان.

قالت: فأتاها رسول الله ﷺ في أناس من أصحابه، ثم قال: يا عائشة، والله لكان ماءها نقاعة الحناء ولكان نخلها رؤوس الشياطين.

فقلت: يا رسول الله، أفلا أحرقتة؟

قال: لا، أما أنا فقد عافاني الله، وكرهت أن أثير على الناس شراً، فأمرت بها فدفنت» (رواه البخاري ومسلم).

ولا يقال: إن السحر فيه ﷺ يوجب لبساً في النبوة والرسالة، لأن أثر السحر لم يتجاوز ظاهر الجسم الشريف، فلم يصل إلى القلب والعقل، فهو كسائر الأمراض التي قد تعرض له، والتشريع محفوظ بحفظ الله تعالى: قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُمُ حَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

١١ - ضعف الإنسان:

في الإنسان نقاط ضعف كثيرة، هي في الحقيقة أمراض، والشياطين تعمق هذه الأمراض في نفس الإنسان، بل تصبح مداخله إلى النفس الإنسانية ومن هذه الأمراض: الضعف، واليأس، والقنوط، والبطر، والفرح، والعجب، والفخر، والظلم، والبغي، والجحود، والكنود، والعجلة، والطيش، والسفه، والبخل، والشح، والحرص، والجدل، والمراء، والشك، والريبة، والجهل، والغفلة، واللد في الخصومة، والغرور، والادعاء الكاذب، والهلع، والجزع، والمنع، والتمرد، والطفیان.

١٢ - النساء وحب الدنيا:

وقد أخبرنا الرسول ﷺ أنه ما ترك بعده فتنة أشد على الرجال من

النساء، ولذلك أمرت المرأة بستر جسدها، وأمر الرجال بغض أبصارهم، ونهى الرسول ﷺ عن الخلوة بالمرأة، وأخبر أنه ما خلى رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما. وفي سنن النسائي بإسناد صحيح: «المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان».

ونحن اليوم نشاهد عظم فتنة خروج غالب النساء كما وصفهن الرسول ﷺ كاسيات عاريات، وقامت مؤسسات في الشرق والغرب تستخدم جيوشاً من النساء والرجال لترويج الفاحشة بالصورة المرئية، والقصة الخلية، والأفلام التي تحكي الفاحشة وتدعو لها!.

أما حب الدنيا فهو رأس كل خطيئة، وما سفكت الدماء وهتكت الأعراض، وغضبت الأموال، وقطعت الأرحام،... إلا لأجل حيازة الدنيا، والصراع على حطامها الفاني، وحرصاً على متعها الزائلة.

١٣ - الغناء والموسيقى:

يقول ابن القيم: (ومن مكاييد عدو الله ومصايدته التي كاد بها من قل نصيبه من العلم والعقل والدين، وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين: سماع المكاء والتصديّة، والغناء بالآلات المحرمة الذي يصد القلوب بها عن القرآن، ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان، فهو قرآن الشيطان والحجاب الكثيف عن الرحمن، وهو رقية اللواط والزنى، كاد به الشيطان النفوس المبطلّة، وحسنه لها مكرراً وغروراً، وأوحى لها الشبه الباطلة على حسنه، فقبلت وحيه، واتخذت لأجله القرآن مهجوراً...) (إغاثة اللهفان ٢٤٢/١).

١٤ - تهاون المسلمين في تحقيق ما أمروا به:

إذا كانت صفوف المصلين مرصوفة فإن الشياطين لا تستطيع أن تتخلل المصلين فإذا تركت فرج بين الصفوف فإن الشياطين تتراقص بين صفوف المصلين ففي الحديث: «أقيموا صفوفكم، لا تتخللکم الشياطين كأنها أولاد الحذف». قيل يا رسول الله: وما أولاد الحذف؟ قال: جُزد بأرض اليمن» رواه أحمد والحاكم بإسناد صحيح (صحيح الجامع ٣٨٤/١).

وفي الحديث الآخر «أقيموا صفوفكم، وتراصوا، فوالذي نفسي بيده إني لأرى الشياطين بين صفوفكم كأنها غنم عُفُر» رواه أبو داود الطيالسي بإسناد صحيح (صحيح الجامع ٣٨٤/١).

كيف يصل الشيطان إلى نفس الإنسان:

الوسوسة:

الشيطان يستطيع أن يصل إلى فكر الإنسان وقلبه، بطريقة لا ندركها ولا نعرفها، يساعده على ذلك طبيعته التي خلق عليها، وهذا الذي نسبه بالوسوسة، وقد أخبرنا الله بذلك إذ سماه ﴿الْوَسْوَاسَ الْخَنَّاسَ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٤، ٥] قال ابن كثير في تفسيره: ﴿الْوَسْوَاسَ الْخَنَّاسَ﴾ الشيطان جائم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس.

وقد ثبت في صحيح البخاري أن الرسول ﷺ قال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم».

وبهذه الوسوسة أضل آدم وأغراه بالأكل من الشجرة: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَذَكَّرُ هَلْ أَذْكَ عَلَى شَجَرَةِ الْجَنَّةِ وَمَلَكٌ لَا يَبْلَى﴾ [طه: ١٢٠].

وقد تتمثل الشياطين في صورة بشر، وقد يحدثون الإنسان ويسمعونه ريامرونه وينهونه بمرادهم.

تمثل الشياطين.

أحياناً تأتي الشياطين الإنسان لا بطريق الوسوسة، بل تتراءى له في صورة إنسان، وقد يسمع الصوت ولا يرى الجسم، وقد تتشكل بصور غريبة.. وهي أحياناً تأتي الناس وتعرفهم بأنها من الجن، وفي بعض الأحيان تكذب في قولها فتزعم أنها من الملائكة، وأحياناً تسمي نفسها برجال الغيب، أو تدعي أنها من عالم الأرواح.

وهي في كل ذلك تحدث بعض الناس، وتخبرهم بالكلام المباشر، أو بواسطة شخص منهم يسمى الوسيط تتلبس وتحدث على لسانه، وقد تكون الإجابة بواسطة الكتابة..

وبين رحمه الله (٤١/١٩) «أن أهل الضلال والبدع الذين فيهم زهد وعبادة على غير الوجه الشرعي ولهم أحياناً مكاشفات وتأثيرات يأوون كثيراً إلى مواضع الشياطين التي نهى عن الصلاة فيها، لأن الشياطين تنزل عليهم بها وتخاطبهم الشياطين ببعض الأمور كما تخاطب الكهان، وكما كانت تدخل في الأصنام وتكلم عابدي الأصنام، وتعينهم في بعض المطالب كما تعين السحرة، وكما تعين عباد الأصنام وعباد الشمس والقمر والكواكب إذا عبدوها بالعبادات التي يظنون أنها تناسبها، من تسبيح لها ولبساً وبخور وغير ذلك؛ فإنه قد تنزل عليهم شياطين يسمونها روحانية الكواكب، وقد تقضي بعض حوائجهم».

الذين تخدمهم الشياطين يتقربون إليهم بالمعاصي:

هؤلاء الذين يزعمون الولاية والحقيقة أن الشياطين تخدمهم - لا بد أن يتقربوا إلى الشياطين بما تحبه من الكفر والشرك كي يقضوا بعض أغراضه، ويذكر ابن تيمية (مجموع الفتاوى ٣٥/١٩) أن كثيراً من هؤلاء يكتبون كلام الله بالنجاسة، وقد يقلبون حروف كلام الله عز وجل، إما حروف الفاتحة، وإما حروف ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وإما غيرهما - ويذكر أنهم قد يكتبون كلام الله بالدم أو بغيره من النجاسات، وقد يكتبون غير ذلك مما يرضاه الشيطان، أو يتكلمون بذلك.

فإذا قالوا أو كتبوا ما ترضاه الشياطين أعانتهم على بعض أغراضهم: إما تغوير ماء من المياه، وإما أن يحمل في الهواء إلى بعض الأماكن، وإما أن يأتيه بمال من أموال بعض الناس، كما تسرقه الشياطين من أموال الخائنين ومن لم يذكر اسم الله عليه وتأتي به، وإما غير ذلك.

رجال الغيب:

يذكر شارح الطحاوية: «أن من الشياطين ما يسميه الناس رجال الغيب، وأن بعض الناس يخاطبونهم، وتحصل لهؤلاء خوارق يزعمون بها أنهم أولياء الله، وأن بعض هؤلاء يعين المشركين على المسلمين، ويقول إن الرسول أمره بقتال المسلمين مع المشركين، لكون المسلمين عصوا».

ثم قال مبيناً حقيقة هؤلاء وأتباعهم: والحق أن هؤلاء من أتباع الشياطين وأن رجال الغيب هم الجن، ويسمون رجالاً، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ كَانُمْرًا كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦] وإلا فالإنس يؤنسونه، أي يشهدون ويرون، وإنما يحتجب الإنس أحياناً، لا يكون دائم الاحتجاب عن أبصار الإنس، ومن ظنهم من الإنس فمن غلظه وجهه.

حكم استخدام الجن:

الذي يظهر أن الله استجاب لسليمان ووهب له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فإذا حصل طاعة من الجن لأحد من الإنس فلا يكون على سبيل التسخير، وإنما برضى الجنى، وهل يجوز ذلك؟ يقول ابن تيمية في (مجموعة الفتاوى ٣٠٧/١١).

الجن مع الإنس على أحوال:

فمن كان من الإنس يأمر الجن بما أمر الله به ورسوله من عبادة الله وحده وطاعة نبيه، ويأمر الإنس بذلك، فهذا من أفضل أولياء الله تعالى، وهو في ذلك من خلفاء الرسول ﷺ ونوابه.

ومن كان يستعمل الجن في أمور مباحة له فهو كمن استعمل الإنس في أمور مباحة له، وهذا كأن يأمرهم بما يجب عليهم وينهاهم عما حرم عليهم ويستعملهم في مباحات له، فيكون بمنزلة الملوك الذين يفعلون مثل ذلك، وهذا إذا قدر أنه من أولياء الله فغايتة أن يكون في عموم أولياء الله

مثل النبي الملك مع العبد الرسول: كسليمان ويوسف مع إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

ومن كان يستعمل الجن فيما ينهى الله عنه ورسوله إما في الشرك، وإما في قتل معصوم الدم أو في العدوان عليهم بغير القتل كتمريضه وإنسائه العلم وغير ذلك من الظلم، وإما في فاحشة كجلب من يطلب منه الفاحشة، فهذا قد استعان بهم إلى الإثم والعدوان، ثم إن استعان بهم على الكفر فهو كافر، وإن استعان بهم على المعاصي فهو عاص: إما فاسق، وإما مذنب غير فاسق .

وإن لم يكن تام العلم بالشرعية فاستعان بهم فيما يظن أنه من الكرامات مثل أن يستعين بهم على الحج، أو يطيروا به عند السماء البدعي، أو أن يحملوه إلى عرفات، ولا يحج الحج الشرعي الذي أمره الله به ورسوله، وأن يحملوه من مدينة إلى مدينة، ونحو ذلك فهذا مغرور قد مكروا به» .

